كَلِماتٌ حَوْلَ الرُّوح الإنسانيّ

الإمام الشيخ

عبد الله سراج الدين

رحمه الله تعالى ورضي عنه

هذا البحث مقتبس من كتاب

(الإيمان بعوالم الآخرة ومواقفها)

من الصفحة ٣٣ حتى الصفحة ٤٦

للشيخ الإمام

عبد الله سراج الدين الحسيني

بناء على توجيهات ولده

المهندس الشيخ

محمد محيي الدين سراج الدين

رحمهما الله تعالى ورضي عنهما

ويمكنك تحميل هذه الأبحاث القيّمة

وتحميل جميع كتب الشيخ الإمام

من موقعه الرسمي والوحيد

WWW.SRAJALDEN.COM

قسم مؤلفات الإمام

ـ المؤلفات المكتوبة وقبسات من المؤلفات

مدير الموقع :

الشيخ عبد الله محمد محيي الدين سراج الدين

كلمات حول الروح الإنساني

أولاً: أما حقيقة الروح الإنساني فقد سُئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عنها؟ فأنزل الله تعالى عليه الجواب: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

وذلك أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين كان في مكة، سألتْه قُريش عن الروح؛ كما روى الإمام أحمد، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قالت قريش ليهود: أعطونا شيئاً نسأل عنه هذا الرجل.

فقالوا: سلوه عن الروح.

فنزلت: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

ثم إنه صلى الله عليه وآله وسلم لمَّا هاجر إلى المدينة، سأله اليهود عن الروح، كما جاء في: (الصحيحين) واللفظ للبخاري، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (بينا أنا أمشي مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حَرْثٍ، وهو متوكِّىء على عَسيبٍ، إذ مرَّ اليهود، فقال بعضهم لبعض: سلوه ـ أي: سلوا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ـ عن الروح.

فقال: ـ أي: بعضهم ـ ما رابكم إليه.

وقال بعضهم: لا ـ أي: لا تسألوه ـ لا يُخبركم بشيء تكرهونه ـ أي: وذلك يُغيظكم بمعرفته الجواب ـ.

فقالوا: سلوه ـ فسألوه عن الروح.

فأمسك النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلم يردَّ عليهم شيئاً.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: فعلمتُ أنه يُوحى إليه، فقمت مقامي، فلما نزل الوحي قال: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ الآية).

والمراد بالروح هنا الروح الإنسانيُّ، بدليل ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: إنَّ اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: أخبرنا عن الروح، وكيف تعذَّب الروح التي في الجسد، وإنما الروح من الله ـ فنزلتْ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ الآية.

والمعنى ـ والله أعلم ـ أَنَّ الروح من عالم الأمر الرباني اللطيف، وذلك أن هناك عالماً يُسمى عالَم الأمر، وعالماً يُسمى عالَم الخَلق، وذلك ثابت بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

فعالَم الخَلْق هو: خُلِق بأمرٍ من الله تعالى له: كنْ فيكون، ولكن من مادةٍ، ويجري عليها التركيب والتطوير والتوالد، وذلك كجسم الإنسان المخلوق من تراب.

وأما عالَم الأمر فهو: ما خُلق بمجرد قول الله تعالى له: كنْ، دون أن يكون له مادة ولا تطوير ولا توالد، ومن ذلك هذا الروح الإنساني.

فالإنسان فيه مجمع العالَمَيْن: فجسمه من عالم الخلق الكثيف

المادي، وروحه من عالم الأمر اللطيف.

ثم إنَّه سبحانه وتعالى سجَّل على العباد قلة العلم، وكثرة الجهل، وأن ما عندهم من العلم فهو مما آتاهم وتفضل به عليهم هو سبحانه، وأن العلم المحيط بكل شيء هو لله تعالى وحده:

فقال سبحانه: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

وهذه القِلَّة في العِلْم التي أُوْتوها هي في غاية القلة، ومهما تصوَّرها الإنسان من قلةٍ فهي أقلُّ وأقلُّ؛ وقد ضَرَب سيدنا الخضر على نبينا وعليه الصلاة والسلام مثالاً لهذه القلة في العلم التي أعطيها سائر المخلوقات بالنسبة للعلم الإلٰهي الذي لا يتناهى ـ حيث قال لسيدنا موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام، حين اجتمعا وجلسا على شاطىء البحر، فأرسل الله تعالى عُصفوراً، فوقف على حرف السفينة، ونقر في البحر.

فقال له الخضر عليه السلام: يا موسى ما علمي وعلمك، وعلم سائر الخلائق من علم الله تعالى إلاَّ كما نقر هذا العصفور من البحر.

كما جاء هذا في: (الصحيحين) عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، يحكي ذلك عن موسى والخضر عليهما السلام، بإقرار منه صلى الله عليه وآله وسلم لذلك.

وهذا المثال جاء لبيان سعة علم الله تعالى الذي لا يتناهى، وقلة علوم الخلائق المتلاشية بالنسبة لعلم الله تعالى، ولم يَجِيء هذا المثال لتحديد النسبة؛ وإلا فلا نسبة ولا تناسب.

فهو سبحانه العليم بكلِّ شيء، عِلماً ذاتياً واجباً، وعلمه قديم لا أوَّل له ولا آخر له، وقد أوجد العالم على علمٍ منه سابق، قال

تعالى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾.

فعلمه بالمخلوقات سابق عليها، وإلاَّ كيف يُتصوَّر أن يكوِّنها ويصوِّرها إذا لم يكن له علم بها سابق؟ كما جاء التنبيه إليه في هذه الآية الكريمة.

هذا وإنَّ علمه تعالى محيط بما كان وبما يكون، فهو يعلم ما كان وما يكون، وما لا يكون، ويعلم ما لا يكون كيف يكون لو كان:

قال تعالى في الكفار: ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾.

وقال تعالى في الكفار حين وقفوا على النار، وتمنّوا أن لو عادوا إلى الدنيا ليُصلحوا أمرهم: ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ ﴾ الآية.

ثم إنَّ عالَم الأمر الذي أَلْمحنا إليه هو داخل في عالَم الملكوت؛ الذي جاء ذكره في الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، كما أن عالَم الخَلق داخل في جملة عالَم المُلك، وكلٌّ من العالَمين المذكورين: المُلك والملكوت بيد الله تعالى، يتصرَّف فيهما كما يشاء، كما هو مقتضى حكمته الموافقة لعلمه سبحانه.

قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

وقال تعالى: ﴿ فَسُبْحَانَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾.

فكل شيءٍ كائن في عالَم الخلق ما قام إلا بالملكوت، وهو الأمر الرَّباني الذي قامت به الأشياء، فملكوت الأجسام الإنسانية هو رُوحها.

وفي: (السنن) عن حذيفة رضي الله عنه، أنه رأى النبي صلى

الله عليه وآله وسلم يصلِّي في الليل، وكان صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «الله أكبر ـ ثلاثاً ـ، ذو الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة».

وفي: (سنن) أبي داود، عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلةً فقرأ سورة البقرة، لا يمر بآية رحمة إلا وقف وسأل، ولا يمر بآية عذاب إلا وقف وتعوَّذ، ثم ركع بقدر قيامه، يقول في ركوعه: «سبحانَ ذي الجَبَروت والملكوت والكبرياء والعظمة» الحديث.

وفي: (مسند) الإمام أحمد، عن حذيفة رضي الله عنه قال: قُمتُ مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذاتَ ليلةٍ، فقرأ السبع الطوال في سبع ركعاتٍ، وكان صلى الله عليه وآله وسلم إذا ركع رفع رأسه من الركوع وقال: «سمع الله لمن حمده»، ثم قال: «الحمد لله ذي الملكوت والجبروت والعظمة والكبرياء».

وقد كثرتْ أقوال العلماء في الفرق بين هذه العوالم الثلاثة، والحقُّ ما قاله محققوا العارفين نفعنا الله تعالى بهم أجمعين:

أَنّ عالَم الأمر ـ ويسمى: عالم الملكوت ـ هو عالم الأرواح والروحانيات والنفوس، سُمِّي بذلك لأنه يوجَد بأمر الحق سبحانه بلا واسطة مادة وَمُدَّة.

وأن عالم المُلك ـ ويسمى: عالَم الشهادة ـ هو عالم الأجسام والجسمانيات، وهو ما يوجد بعد الأمر بمادَّة ومُدّة، ويجري عليه التركيب والتوالد.

وأما عالم الجبروت: فاختلف فيه العارفون.

فقال بعضهم: هو مشتق من الجَبْر وهو القهر، فيشمل عالَم البرزخ بعد الموت، وعالم موقف الحشر؛ لأن فيهما يظهر حكم القهر الإلَهي.

وقيل: هو مأخوذ من الإجبار بمعنى الاستعلاء، فيشمل عالم العقول والنفوس المجرَّدَة، لاستعلاء هذا العالم عن تركبه من العناصر.

وعند الشيخ أبي طالب المكي: هو عالم العظمة، فيشمل عالَم الآخرة، وعالم أرض الحقيقة التي تُرى فيها الأشياء على حقائقها.

وقد حثَّ الله تعالى عباده أن ينظروا في العالَمَيْن: عالم الملك، وعالَم الملكوت، ولكن فرَّق بين النظرين لافتراق العالَمَيْن:

فقال تعالى في عالم المُلك: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ الآيات.

وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾.

فالنظر في هذه الآيات متعدٍّ لما بعده بإلى، لأن المنظور إليه يُرى بحاسَّة البصر وهي العين، ويُشهَد حِسّاً.

وأما عالم المَلَكوت فقال تعالى فيه: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ الآية.

فأمر سبحانه بالنظر فيه، والمراد بذلك نظر التفكر والاعتبار والتعقُّل، والاستبصار في الملكوت الذي أقام الله تعالى به الأشياء، وأمسك به عليها قُواها وقِوامها، وهذا من الأُمور الغيبية التي لا يَراها إلا من أطلعه الله تعالى على ما شاء منها، وأشهده ذلك،

قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾.

وأعظم من أراه الله تعالى ذلك وأطلعه على جميع ما هنالك؛ هو السيِّد الأكرم سيِّدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، حيث قال مُخبراً عن ذلك المشهد: «فتجلَّى لي كل شيء، وعرفتُ، ثم قرأ ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾».

كما جاء في: (سنن) الترمذي و(مسند) أحمد وغيرهما.

وفي رواية الترمذي: «فعلِمتُ ما في السموات وما في الأرض».

وفي رواية الطبراني: «فعلَّمني كلَّ شيء».

ثانياً: إن الرُّوح الإنسانية هي: شريفة كريمة، قُدسيَّة عالية، أعلن الله تعالى شَرافتها وكرامتها بإضافتها إليه حيث قال سبحانه: ﴿ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾.

فأخبر سبحانه عن شرف الإنسان: جسماً وروحاً:

أما شرف جسمه فقد سوَّاه هو سبحانه، وأكمله وعَدَّله وأحسنه، **كما أخبر عن ذلك** بقوله سبحانه: ﴿ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ ﴾، وهذا نظير قوله تعالى: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ﴾.

فجسم الإنسان ليس كبقية الأجسام البهيمية الحيوانية، بل هو مُشرَّف بتسوية الله تعالى له، وتعديله وإحسان تقويمه.

وأما شرف روحه فقد أضافها الله تعالى إليه حيث قال: ﴿ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ والنفخ هنا كناية عن إيصال الروح بالجسم، وإفاضتها على ذراته كلِّها بالحياة بعد أن صار مسوّىً، ومستعداً للروح و﴿مِن﴾ التي في قوله تعالى: ﴿ مِن رُّوحِي ﴾ هي للابتداء، أي: من

روحٍ بدءُ خلقها وإيجادها من الله سبحانه.

وفي هذا بيان أَنَّ الروح الإنسانية ليست كغيرها من أرواح البهائم والحيوانات، بل هي في أوج الشرف والكرامة، والاستعداد للفيوضات والمعارف الإلٰهية، والقضايا الإيمانية، وفيها الأهلية الكاملة لأن تكون موضع الخطابات الإلٰهية الشرعية: بالأوامر والمناهي، والآداب والأخلاق العالية، فَيُخاطبه الله تعالى بقوله: ﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ ﴾.

وبقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾.

وبقوله: ﴿ يَٰعِبَادِ ﴾ ـ ونحو ذلك.

والروح هي: من العالَم الملكوتي العلويِّ، هبطت إليك من المحل الأرفع، وقُرِنَت بهذا الجسم الإنساني:

فإذا أجاع الإنسان بدنه وشغله بالعبادة، وأقامه في خِدْمة مولاه تعالى بالعمل فيما أمره به ربُّه سبحانه ـ وجَدَتْ روحه خفةً ولطافة، وشعرت باللذة والراحة، فتاقت إلى المستوى الذي هبطت منه، واشتاقت إلى عالَمها العلويِّ المقدس.

وإذا أثقل الإنسان بدنه بالمآكل والمشارب، وأخلد إلى الشهوات وكثرة النوم والراحة، وانهمك في اللذائذ الجسمية، ثقلت الروح، وهبطتْ من عالَمها، وصارت أرضية سُفلية.

ولذلك ترى الرجل الصالح في العمل، الصادق في عبادته لربه، المخلص لله تعالى دينه ـ ترى بدنه عندك في الأرض، ولكنَّ روحه وقلبه في العالم العلويِّ يجول، كما ورد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لحارثة رضي الله عنه الذي عزفت ـ زهدت ـ نفسه عن الدنيا.

قال له: «كيف أصبحت يا حارثة بن مالك»؟

فقال: أصبحت مؤمناً حقاً.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إنَّ لكلِّ حقٍّ حقيقةً، فما حقيقة إيمانك»؟

فقال: عزفت نفسي عن الدنيا، فأسهرتُ ليلي، وأظمأتُ نهاري، فكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً للحساب، ولكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها، ولكأني أسمع عِواء أهل النار.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «عبد نَوَّر الله الإيمان في قلبه ـ عرفتَ فالزم»[1].

وروى ابن أبي شيبة في كتاب الإيمان بإسناده، عن محمد بن صالح، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقي عَوْف بن مالك فقال: «كيف أصبحتَ يا عوف بن مالك»؟

فقال: أصبحت مؤمناً حقاً.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن لكل قولٍ حقيقةً، فما حقيقة ذلك»؟

قال: يا رسول الله، أطلقت نفسي عن الدنيا، فأسهرتُ ليلي، وأظمأتُ هَواجري ـ جمع هاجرة وهي الظهيرة ـ وكأني أنظر إلى عرش ربي، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها، وكأني أنظر

---

(١) قال العلامة ابن رجب الحنبلي: وحديث حارثة رضي الله عنه المشهور قد رُوي من وجوه مرسلة وروي متصلاً، والمرسل أصح. اهـ (جامع العلوم والحكم).
وأورده ابن أبي شيبة في كتاب الإيمان، وأورده الحافظ في: (الإصابة) وذكره غير هؤلاء من المحدثين.

إلى أهل النار يتضاغون فيها ـ يصيحون ويستصرخون ـ.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «عرفتَ ـ أو «لُقِّنتَ» ـ فالزم».

وفي رواية: «عبد نوَّر الله قلبه».

وعلى العكس، فإن الكفار والفجار لما أخلدوا إلى الأرض، وعَمُوا وصمُّوا في شهواتهم البهيمية، وأهوائهم السفلية، فإن أرواحهم هَبَطتْ من عَليائها، وصارت أرضيةً دنيَّة.

قال الله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾ أي: لم يتحقق بمواجبها، ولم يتلبَّس بمعانيها، بل انخلع منها ﴿فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ فاصطاده وافترسه ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ بعد أن كان من الراشدين ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا﴾ بتلك الآيات الكريمة العالية، فإنها بها يعلو عالي الهمَّة ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: مال إلى مَلاذِّها وزخارفها كلَّ الميل، حُبّاً فيها، وهياماً بها ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ وفي ذلك دليل على دناءة هِمَّته، وخسَّة بُغيته، حيث إنه اختار الأسفل الأدنى على الأشرف الأعلى، فهو في ذلك ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾.

أي: شأن الكلب أن يلهث إن تركته أو حَمَلْتَ عليه وطردته، وكذلك مَنْ كفر وأخلد إلى الأرض فهو يلهث على الدنيا متكالباً عليها، فهو إن تركتَه يلهث على الدنيا، وإن حملت عليه بالوعظ والتذكير، والحجة والبينات يلهث على الدنيا، ولا يعلو عنها بهمته وعزيمته ﴿ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

ثالثـاً: ذهب جمهور العلماء إلى أن الأرواح الإنسانية مخلوقة

قبل الأجساد، واستدلوا على ذلك بما جاء في حديث المعراج المرويِّ في: (الصحيحين) أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال في حديثه عن المعراج: «فلما فُتح ـ أي: فتح خازن السماء الدنيا الباب لنا ـ علونا السماء الدنيا، فإذا رجل قاعد، على يمينه أسْوِدة، وعلى يساره أسْودة، إذا نظر قِبَل يمينه ضحك، وإذا نظر قِبَل شماله بكى.

فقال: مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح».

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «قلتُ لجبريل: مَنْ هذا؟

قال: هذا آدم، وهذه الأسْودة عن يمينه وعن شماله نَسَمُ بنيه ـ أي: أرواح بنيه ـ فأهل اليمين هم أهل الجنة، والأسودة التي عن شماله أهل النار، فإذا نظر عن يمينه ضحك، وإذا نظر عن شماله بكى» الحديث.

فهذا دليل على أن الأرواح مخلوقة ومودعة هناك في السماء، فإذا كَمُل للجسم استعداده لتقبُّل هذه الروح، بأن مضى عليه أربعة أشهر في رحم أُمِّه ـ أمر الله تعالى الملك أن يأتي بهذه الروح، فينفخها في الجنين، فيحيا حياة روحية فوق الحياة النامية التي كان عليها قبل أن تَمضي عليه أربعة أشهر وهو في الرحم، فما يَظهر للجنين من حركة قبل أربعة أشهر؛ فتلك حركة نُموٍّ ـ كما تتحرك الناميات من الزروع ونحوها، وأما الحركة الروحية فهي بعد أربعة أشهر.

واستدل العلماء على تقدم خلق الأرواح على الأجسام بما ثبتَ من قضية عالم الذَّرِّ، وذلك أَنّ الله تعالى بعد أن خلق آدم عليه السلام، استخرج منه الذراري التي سيخلقها منه إلى يوم القيامة، وأفاض عليها الأرواح، وأخذ عليهم العهد، وأشهدهم على ذلك.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ ﴾ ـ أي: أنت ربنا ـ ﴿ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾.

جاء في: (مسند) الإمام أحمد، عن أُبيِّ بن كعب رضي الله عنه في هذه الآية أنه قال: (جمعهم الله تعالى فجعَلَهُم أرواحاً، ثم صوَّرهم فاستنطقهم فتكلموا، ثم أخذ عليهم العهد والميثاق، وأشهدهم على أنفسهم ألستُ بربكم؟ قالوا: بلى.

قال: فإني أُشهد عليكم السموات السبع، والأرضين السبع، وأُشهد عليكم أباكم آدم عليه السلام: أن تقولوا لم نعلم بذلك.

اعلموا أنه لا إلَه غيري، ولا ربَّ غيري، فلا تُشركوا بي شيئاً.

إني سأرسل إليكم رُسُلي يذكِّرونكم عهدي وميثاقي ـ أي: هذا العهد والميثاق الذي أُخذ عليكم الآن ـ وأُنزل عليكم كتبي.

قالوا: شهدنا بأنك ربّنا وإلَهنا، لا ربَّ غيرك ـ فأقرُّوا بذلك). اهـ.

ورواه الحاكم وصحح إسناده وأقره الذهبي، ورواه ابن أبي حاتم، وابن جرير، وابن مَرْدُويه وغيرهم.

وقد جاء ذلك المعنى في عدة أحاديث مرفوعة، ومن ذلك ما رواه الترمذي وغيره، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لما خلق الله آدم مسح ظهره، فسقط من ظهره كلّ نَسَمَةٍ هو خالقها إلى يوم القيامة، وجعل بين عيني كلِّ إنسان منهم وبيصاً من نور، ثم عَرَضهم على آدم.

فقال: أيْ ربِّ مَن هؤلاء؟

قال: هؤلاء ذريَّتك» الحديث قال الترمذي فيه: حسن صحيح.

ومن الأدلة على تقدُّم خلْق الأرواح على الأجسام، ما رواه الإمام مسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الأرواح جُنود مُجنَّدة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف» ورواه البخاري معلقاً.

فالأرواح التي تقوم بها الأجساد هي جموع متجمِّعة، وأصناف مُصَنّفَة، وهي في عالَم الأمر قبل عالم الخلْق الجسماني، فما تعارف منها في ذلك العالم إلى بعضها ائتلف ههنا في هذا العالم الجسماني، وما تناكر منها هناك اختلف ههنا.

قال العلامة المُنَاوي رحمه الله تعالى حول هذا الحديث: فالائتلاف والاختلاف للقلوب والأرواح البشريَّة، التي هي النفوس الناطقة، مجبولة على ضرائب مختلفة، وشواكل متباينة، فكلُّ ما تشاكل منها في عالَم الأمر تعارف في عالَم الخلق، وكلّ ما كان في غير ذلك في عالم الأمر تناكر في عالم الخلق. اهـ.

ومن الأدلة على تقدم خلق الأرواح، ما رواه ابن مَنْدَه مرفوعاً قال: «خَلَق الله الأرواح قبل الأجساد بألفي عام».

وأوَّل الأرواح البشرية خَلْقاً هو روح السيِّد الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، كما أخبر عن ذلك بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «كنت أول الناس في الخَلْق وآخرهم في البعث» رواه ابن سعد مُرسلاً بإسناد صحيح.

ورواه أبو نعيم، وابن أبي حاتم في: (تفسيره) وابن لال، والديلمي كلُّهم من حديث سعيد بن بشير، عن قتادة، عن الحسن،

عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «كنتُ أول النبيين في الخَلْق وآخرهم في البعث».

وهذه الرواية تفسِّر رواية ابن سعد، وأن المراد من الناس الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

فهو صلى الله عليه وآله وسلم أوَّلهم في عالَم الأرواح، وخاتمهم في عالم الأشباح صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد نبَّأه الله تعالى في عالم الأرواح قبل الأنبياء كلِّهم، فبه فُتحت النبوة في عالم الأرواح، وبه خُتمتْ في عالم الأشباح صلى الله عليه وآله وسلم ـ فهو الفاتح وهو الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم.

روى الترمذي، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالوا: يا رسول الله، متى وجَبَتْ لك النبوة؟

قال: «وآدم بين الروح والجسد» وقال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب.

ورواه أبو نعيم، والبيهقي، والحاكم وصحَّحه، ورواه البزار، والطبراني، وأبو نعيم أيضاً من رواية ابن عباس رضي الله عنهما.

وعن ميسرة الفجر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله متى كنت نبياً؟

قال: «كنتُ نبياً وآدم بين الروح والجسد» رواه الإمام أحمد، والبخاري في: (التاريخ)، والطبراني، والحاكم وصححه، وقال الحافظ الهيثمي في رجال أحمد والطبراني: رجالهما رجال الصحيح. اهـ.

* * *